دراســات عربيــة

الرواية الأكتوبرية .. وأدب ما بعد النصر

أدب النصر يختلف عن أدب الهزيمة على الرغم من أن كليهما يصدر عن انفعالة مفاجئة ويعبر عن حالة راهنة سواء كانت تؤدى هذه الحالة الى تغيير أو هى غيرت بالفعل وسواء قضت على وضع قديم أو أدت الى وضع جديد ، قصير أو طويل الأجل أو ربما أبدى الأجل أيضا ...

وأدب الحروب الذى يكتب اثناء أو بعد المعارك بغض النظر عن نتائج هذه المعارك سلبا أو ايجابا هو فى واقع الأمر أدب مناسبات مهما حقق من خلود أو عبر عن مشاعر انسانية وقيم روحية وآراء بناءة وأفكار مستقبلية .

والأدب المرحلى هذا اما أن يكتبه أدباء محترفون أو يقتحمه هواة منفعلون ومتأثرون بالأحداث نتيجة لمشاركتهم الفعـــالة أو مشاعرهم الفياضة ..

والرواية كفرع من فروع الأدب ، ربما كانت من أقدر الفنون التعبيرية استجابة لأحداث الحروب وهى بالتأكيد المهيأة لسرد تلك

الأحداث بالتفصيل فى مواجهة القصة القصيرة التى تلتقط لحظات ومشاهد وتكتفى بالتكثيف ، والشعر أيضا الذى يحول الخيال الى حقيقة ويحول الواقع الى أحلام ..

والرواية فى تلك الظروف قد تحتفظ بعناصرها وأساليبها وأشكالها ولغتها أو بعضها وقد تأتى بالجديد الذى ينبثق من الأحداث وقد تبتعد تماما عن قوالب الرواية والبديلة لترتدى ثيابا أدبية متنوعة أخرى مثل اليوميات والمذكرات والكلمات والمقالات أيضا ..

ولا نستطيع ونحن نمهد للحديث عن أدب النصر أو بالتحديد الرواية الاكتوبرية أن نغفل ولو ذكر أدب الهزيمة أو بتحديد أدق رواية يونيو المعبرة عن الغضب المنادية بالثأر والثورة ..

وهذا طبيعى فالمرارة والحسرة والأسى والصدمة وربما اليأس أيضا كلها مشاعر تعترى المواطن حيا أو قارئا أو كاتبا عقب النكسة والهزيمة ..

أصدر « مصطفى بهجت بدوى » كتابا بعنوان « لكلام عنا وعن اسرائيل .. من ٥ يونيو الى ٦ أكتوبر » يتناول فيه بطريقة المقالات اليومية والاسبوعية والافتتاحيات ما حدث فى يونيو وما جاء به أكتوبر ، ورغم أن الكاتب شخص واحد الا أن اللهجة والاحساس والمنطق والرؤى قد اختلفت ..

وأصدر « جمال الغيطانى » وهو روائى معروف كتابا بعنوان «المصريون والحرب .. من صدمة يونيو الى يقظة أكتوبر » يصف فيه بأسلوب المذكرات والذكريات ما شاهده بين الحربين ، ولكن برؤيتين مختلفتين ..

وأصدر « حمدى الكنيسى » وهو مذيع ومقدم برامج أدبية معروف ، كتابا بعنوان « اليوم السابع » مستخدما شكل اليوميات

داخل جبهة القتال مستثمرا وجوده كمراسل حربى ، عايش المعارك وان لم يشترك فيها ٠

وكمراسل حربى أيضا ، استغل « مرسى عطا الله » وهو صحفى معروف متابعته للمعارك وأصدر كتابا بعنوان « حقيقة الثغرة فى الدفرسوار » مؤكدا على الغلاف انها « رواية الحـــرب من غرفة العمليات » وبذلك نقل الأحداث وعالج المواقف بأسلوب روائى دون أن يتقيد بالشكل الروائى ٠٠

وبطريقة المذكرات المباشرة أصدر « ابراهيم عزت » كتابـا بعنوان « لا يمكننا دفع المصريين الى الخلف » مستندا الى أقوال العدو نفسه ورواياته وكذلك أقوال الكتاب الذين شاهدوا وسجلوا دون أن يقحموا أنفسهم كطرف فى الصراع ، مثـل كتاب « يـــوم الغفران » للصحفيين الاسرائيليين السبعة ٠٠

ومن هذه الكتب صدرت نوعيات كثيرة مختلفة بأقلام متخصصة ولكنها ليست روائية ، فيما عدا « عصام دراز » الذى كتب « قصة حب من يونيو ١٩٦٧ » و « يوســـف القعيد » الذى كتب رباعيـة « الحداد » على طريقة رباعية داريل « الاسكندرية » ورباعية فتحى غانم « الرجل الذى فقد ظله » ورباعية نجيب محفوظ « ميرامار » ٠٠ كما كتب « أخبار عزبة المنيسى » وهى مكونة من أربعة فصول زمنية دون أن تكون رباعية بالضرورة ٠

و « بهاء السيد » الأديب المقاتل معا ، الذى كتب مجموعة قصصية تقترب من الرواية بعنوان روائـــى أيضـــا هـــو « السفر فى الليل » وتضم « رتوش فى حديقة الصمت » و « لصوص من نوع آخر » و « عندما يختنق القمر » و « المسافة الضيقة » و « رحلة الجانب الآخر » و « أحمس وحركة الأصبع الأخيرة » وقصـــصا

أخرى تقترب من المعركة دون أن تلمسها لمسا مباشرا أو تكتوى بنارها تماما ..

و « مجيد طوبيا » الذى كتب « أبناء الصمت » ليصور أثر صدمة يونيو فى الاستعداد لأكتوبر مرورا بالحرب واللاحرب ومعايشة لحرب الاستنزاف ، كل هذا بهدوء أعصاب من ناحية ونفوس تغلى من ناحية أخرى ، ببرود عقلى فى اتجاه الاعداد والتخطيط وقلوب ملتهبة بالحماس والأقدام ..

أما كبار الكتاب فقد شاركوا بالكتابة التى تستمد بريقها من تخصصاتهم دون أن تنطلق الى تلك التخصصات الأدبية والفنية ، مكتفية بالوصف والتصور والتعليق ، من هؤلاء شيخ الكتاب « توفيق الحكيم » الذى أطلق تعبير « عبرنا الهزيمة » فى مقالاته القصيرة جدا ، حتى صار التعبير رمزا للنصر وعلامة على المرحلة ودلالة على الاصالة . وكتب شيخ الروائيين نجيب محفوظ « دروس أكتوبر » وفيها أطلق عبارة « ردت الروح » ليرد على الحكيم ويدلل على حضارتنا الانسانية الخالدة برؤى ثاقبة ولغة روائية متطورة . وبطريقة النقد والتحليل والتفسير تناول « الدكتور لويس عوض » حدث العبور فى سلسلة مقالات مطولة تحت عنوان « الأدب والمعركة » بلغ فيها قمة التصور ودقة التصوير ..

ولأنه ضابط سابق كتب « يوسف السباعى » بلغة عسكرية وأسلوب حربى عن « الفكر والفن » مؤكدا انهما من أخطر الأسلحة وجاءت كتاباته عبارة عن صور لبطولات وطنية من واقع أكتوبر العظيم ، سجلت فى معركة التحرير والمصير .. ويكتب « ثروت أباظة » فى سياسة الحرب وحرب السياسة عاقدا الصلة الوثيقة بينهما رافعا شعار الحرية كخطوة أولى فى طريق التحرير والنصر .. أما « أنيس منصور » فيكتب بطريقته السلسة الطريفة

عن « رقم ٦ » فى حياتنا ودلالاته وعلاماته ومؤشراته ونتائجه ..

ودون أن يتخلى الشعراء عن قالبهم الشعرى أخذوا يروون الأحداث فى قصائدهم بعد امعان النظر واعمال الفكر وارهاف الحس .. كتب « أحمد عبد المعطى حجازى » اغنيات للوطن ، وكتب « فاروق شوشة « اغنيتان لمصر » ، وأصدر « فتحى سعيد » أول ديوان عن حرب أكتوبر بعنوان « مصر لم تنم » تلك العبارة التى تحولت الى أنشودة يرددها الشعب ويحفرها التاريخ فى كتبه وذاكرته ..

وقبل أن نتفرغ للحديث عن الرواية الاكتوبرية بحق ، نسجل هنا ما وقعنا عليه من الانتاج القصصى أو الصورة المصغرة من الرواية ، نجد أن الاديبة « لوسى يعقوب » قد أصدرت مجموعة بعنوان « عذراء سيناء » عبارة عن صور لبطولات وطنية من واقع أكتوبر العظيم ، سجلت فى انفعالات المعركة ، ويكفى ان نقرأ أسماء قصصها القصيرة لندرك المعانى التى تسعى الى تأكيدها والمشاعر التى تتمسك بتسجيلها ، مثل « حفنة من رمال سيناء » و « عبير النصر » و « ملحمة البطولة » و « تحقق الأمل » و « انشودة السلام » .. ومثل « أكثر من الحب » و « وما أحلاه من عيد » و « الخطوة الواثقة » و « دمعة باسمة » تصويرا للبطولات الانسانية المصاحبة للبطولات العسكرية والناتجة عنها ..

وفى مجال القصة القصيرة أيضا أصدر أديب السويس « محمد الراوى » مجموعة « الركض تحت الشمس » من واقع المعارك ومن داخل الخنادق مركزا على مدينته المضروبة والمحاصرة طارقا بذلك جانبا آخر من جوانب المعارك وهو الاثار المترتبة على تلك المعارك ، وهى هنا الهجرة والمهجور ، والجثث والضحايا والأمل الضائع والحلم المفقود .. ولنقرأ بعض أسماء هذه المجموعة مثل

« هجرة الى الداخل » و « مرثية حب » لنقف على المعنى الذى يريد أن يعبر عنه الكاتب ..

والى جانب الأدباء الشبان المحترفين تظهر كوكبة من الشباب المقاتل الذى يكتب لأول مرة بدافع التعبير عن المعاناة سواء تلك التى انتهت بالنصـــر أو احيطت بالهزيمة ، من هؤلاء « ابراهيم عبد المجيد» الذى احترف الكتابة بعد ذلك وخاصة بعد أن أصدر تعقيبا على حرب يونيو رواية جيدة وشيقة بعنوان « فى الصيف الســابع والستين » .. أما « تعليقات من الحرب » فهى قصة روائية أو رواية فى قصة تربط بين النكسة والنصر من خلال شـــباب المرحلتين أو الحقبتين أو الحدثين .. ومن هؤلاء أيضا المقاتل « حسن عطية » الذى كتب « الخروج من حفر الدفاع السلبى » ليبين أثر وتأثير « سام ٧ » فى المعارك الحربية مستخدما بضمير المتكلم الذى ينقل تجربته الحية مباشرة دون وسيط ، مما جعل السرد يتسم بالصدق وان لم يتميز بالفن القصصى المتمكن لغة وبلاغة .. ويجىء مقاتل آخر هو « محمود عبد الوهاب » الذى يركز أحداث قصـــته حول « عملية العبور » بالتحديد فيصفها ويوصفها بعد تركيز وتكثيف يتمثل فى العناوين الفرعية التى جاءت على شكل بلاغات عسكرية ووقائع حقيقية .

وضمن مجموعة قصصية ومسرحية بعنوان « من وحى أكتوبر » كتبت « عزيزة صادق » كما كتب « صلاح عبد السيد » عن الجانب الانسانى فى المعركة بعيدا عن المعركة ..

وننتقل الى الرواية الطويلة لننقل امثلة وليس حصرا لها ، ان ذكرا مجرد ذكر أو ببعض التلخيص والتحليل ..

تستمد رواية الاديب « نجيب الكيلانى » عنوانها « رمضان حبيبى » من زمن المعركة لأول مرة كما تستمد أحداثها من وقائع

مثيرة ثابتة تاريخيا ، صيغت فى أسلوب قصصى شيق يتميز بدقة التصوير وسلاسة الحوار وتماسك الحدث ·· وفى هذه الرواية يصور الكاتب كفاح الشعب المناضل اثناء معركته الكبرى بذلا وعطاء وتضحيات متصلة على مدى السنين دون أن يصيبه اليأس أو يعتريه الوهن ·· ويبرز الكاتب أثر العامل الدينى فى تكوين الرجال وصنع الابطال والبطولات وتحقيق النصر بارادة وعزة وكرامة بلا حدود ··

أما رواية الاديب الكبير « يوسف السباعى » التى تحولت الى مسرحية والى مسلسل اذاعى والى فيلم سينمائى ، ونعنى « العمر لحظة » فهى تعبير فورى عن احداث المعركة المصيرية والفاصلة بين مصر واسرائيل : فهى الحرب الرابعة أو هى الجولة الأخيرة بعد ان فازت اسرائيل بالجولات الثلاث الأولى ·· ولذلك يعبر الأديب المتمكن بحسه المدرب ووعيه السياسى عن « العمر » و « اللحظة » فيكشف العمر كله بماضيه وحاضره ومستقبله فى لحظة واحدة ، ليقول الانسان المصرى على طريقة هاملت الشكسبيرى « أكون أو لا أكون » ·· وعندما يغامر الانسان بمصيره كله فى عبارة موجزة مثل هذه لابد أن تكون لديه الارادة والمقدرة والعزم والتصميم والرغبة فى الحياة الكريمة ، ومؤدى كل ذلك النصر ، وهو ما تحقق له بالفعل ·· والرواية بعد هذا ومع هذا لا تغفل المشاعر الانسانية حتى وسط المعارك وبعد المعارك ، لأن الانسان مجموعة من المشاعر والعواطف والاحاسيس والافكار والاحتياجات ، فهو ليس فكرا جامدا ولا هو مشاعر خالصة ، ولكنه تركيبة معقدة غاية فى التعقيد وتراث متداخل غاية فى التداخل وقوانين متشابكة غاية فى التشابك ·

ويوسف السباعى المتابع دائما للاحداث القومية والوطنية الذى يكتب « العمر لحظة » هو نفسه الذى اكتب من قبل عن « الحرب

والسلام » وهو الذى كتب « رد قلبى » من المنطلق ذاته ونحو ذات الهدف ..

اما « محمد جلال » كبير كتاب جيل الوسط فيكتب « قهوة الموارى » ليصور الجانب الآخر من المعركة الدائرة ، جانب الشغب فى الأزقة والحوارى والمقاهى والبيوت الصغيرة فى المدينة الكبيرة والناس على اختلاف درجاتهم العلمية والتعليمية والثقافية والوظيفية والحياتية والعملية ، رجال ونساء وشباب وفتيات وصغار أيضا ، هؤلاء المهتمون المتابعون وأولئك المشغولون اللاهون ، وأيضا العابثون وغير العابثين .. وهو لا ينسى ـ كما لم ينس يوسف السباعى ـ ان يصور قصة الحب الرئيسية وقصص الحب الجانبية أو الفرعية فى قلب العمل الروائى حتى لا يصاب الفن بالجفاف ، فالدم الذى يجرى على رمال الصحراء والدم الذى يجرى فى العروق انما يتدفق من قلب واحد وشرايين واحدة .

ومحمد جلال « يجس » نبض الشارع المصرى منذ « صدمة النكسة » حتى « فرحة النصر » .. من خلال شارع واحد فى مصر ، يعكس صورة مصر كلها .. وهو يصب رؤيته فى قالب روائى يضمه أحداثا وشخصيات .

ونطالع وتطالعنا روايات أخرى لأدباء آخرين ، نكتفى بذكرها وذكرهم بعد أن تناولها النقاد فى دراسات أخرى .. «الرفاعى» لجمال الغيطانى ، و « الحرب فى بر مصر » و « الاسبوع سبعة أيام » ليوسف القعيد و « أيام من أكتوبر » لاسماعيل ولى الدين و « دعونى أعيش » لعلاء مصطفى .. وغيرهم .

ويبقى السؤال الذى يطرح نفسه بعد الانتهاء من قراءة واعية ممتعة لكل تلك الروايات .. وماذا بعد النصر ؟ وهو سؤال لابد أن يجيب عليه الروائيون المسجلون الراصدون المحللون لضربات نبض

مصر ، فى روايات نابضة آن الأوان لكتابتها بعد أن سمح البعد الزمنى برؤية الأحداث بعقل هادىء وفكر موضوعى واحساس صادق وحب خالص ٠٠ لمصر ٠٠

وبعد رواية النكبة فى عام ٤٨ ورواية الثورة فى ٥٢ ورواية العدوان فى ٥٦ ورواية النكسة فى ٦٧ ورواية التصحيح فى ٧٠ ورواية النصر فى ٧٣ ورواية السلام فى ٨٢ ستظهر حتما وقريبا رواية الرخاء ، عوضا وعدلا من عند الله سبحانه ٠

نماذج مقارنة ·· من أجيال القصة

اذا جاز لنا ان نقسم الكتاب الى أجيال ، واذا حق لنا أن نحدد هذا التقسيم بثلاثة أجيال حتى الآن ، جيل الريـــادة وجيل الوسط والجيل الجديد ، أمكننا أن نختار نماذج تمثل هذا التقسيم وقصصا قصيرة تعبر عن أوجه الشبه وأوجه الخلاف ·

وليكن الممثل لجيل الريادة ـ فى هذه الدراسة ـ الأديب « محمود تيمور » وليمثل جيل الوسط الكاتب « يوسف السباعى » ويمثل الجيل الجديد الصحفى « فتحى سلامة » ·

واستمرارا فى عملية الاختيار ، اخترنا قصة لكل منهم من بين مجموعات قصصية ثلاث ·· الأولى بعنوان « عبيط عبيط » احدى قصص « البارونة أم أحمد » والثانية بعنوان « الشيخ زعرب » وهى القصة التى تحمل عنوان المجموعة نفسها ، والأخيرة بعنوان « على السعداوى » ابرز قصص مجموعة « يسألونك عن الخوف » ··

وكان من الممكن اختيار القصص الثلاث اللاتى تسمى باسمائها المجموعات الثلاث ·· ولكن الصفات والمواصفات المميزة والمتميزة قد جمعت بين الابطال الثلاثة بحيث يسهل عقد مقارنة كاملة بين أسلوب وطريقة كل كاتب أو كل جيل ·

فعبيط تيمور وشيخ السباعى وسعداوى سلامة يدورون فى الفلك نفسه ويعانون الظروف ذاتها ، يعيشون مشـاكل متشـــابهة ويطمعون فى حياة أفضل ويطمحون الى المستقبل ، دون جدوى ·· ولذلك تصادفهم منغصات ومعوقات متقاربة ، أما النهاية فواحدة ·

ومع هذا فلا يمكننا ان نلحظ أو ندعى ان « السباعى » قد تأثر بتيمور ، أو ان « سلامة » قد تأثر بالاثنين أو بأحدهما ٠٠ بل يمكن التأكيد على ان أحدا منهم لم يقرأ قصتى الكاتبين الآخرين،رغممافى القصص الثلاث من تكرار ، لا ينتمى الى « توارد الخواطر » بقدر ما يشير الى استمرارية الحياة بما فيها من متناقضات واشباه ٠

أما قصة « تيمور » القصيرة « عبيط » فتدور حول رجل لا عمل له ، ضائع تائه ، يطلقون عليه صفة « العبيط » وهو يدرك معنى هذه الصفة ، ولكنه يستنكره فى الوقت نفسه ويهزأ به دون أن يعلن عليهم رد فعله هذا ٠٠ وتسير حياته ويسير بها محاولا شغل وقته وكسب قوته بخدمة المحيطين به أو الذين يحيط بهم ، فيتبرع بخدمة سيدة ميسرة تعطف عليه رغما عن زوجها الذى لا يكن له أى ود ، لأنه كان يغير منه فى واقع الأمر ، الى أن توفى الزوج ، فلم يذرف عليه دمعة واحدة ، كان فرحه لا يوصف بعد ان سمحت له السيدة الارملة بالاقتراب منها أكثر ، لدرجة أنها تركته يغازلها ويطارحها الغرام والعشق بعد انقضاء موعد الحداد ٠٠ فاعتقد أنه أصبح عشيقها ورجلها ، الى أن فوجىء برجل أخر يظهر فى حياة سيدته ويشغل وقتها ويأخذ لبها ويبعدها عنه تماما ، خاصة بعد أن تزوج منها وتم الزفاف ، الحدث الذى لم يستطع « العبيط » ان يتقبله ويقبله ، فقرر أن يتخلص من سيدته حتى لاينالها أحد سواه ، وبالفعل طعنها بسكين حادة ، أخذها الى أمه ليقص عليها قصته كاملة ، مع المرأة الخائنة من وجهة نظره ومع الناس الذين ظنوا أنه « عبيط » ٠

هذه الشخصية غير السوية تتشابه تماما كنموذج بشرى وشخصية « الشيخ زعرب » غير السوية هى الأخرى ٠٠ فالسباعى قبل ان يقص علينا قصته ، يصفه لنا من الخارج والداخل ، يصف وجهه وهيئته ثم سلوكه ونفسيته ٠٠ هو « عبيط » آخر ، من نوع آخر

ليس من أولياء الله الصالحين وان تشبه بهم ، وليس من المجاذيب وان قلدهم ولكنه « ابله » يتجه نحو التدين وحلقات الذكر ، وفى هذا فقط يختلف عن « ابله » تيمور الذى اتجه نحو المرأة والجنس ·· والشيخ زعرب يحتفل بشكل خاص بتوديع « المحمل » فى منطقة الغفير ، على اعتبار أن « الكسوة الشـــريفة » متجهة الى أرض الحجاز المقدسة لتكسو الكعبة الشريفة ، ويتذكر سلفه « الشـــيخ كتكوت » المجذوب الاكبر الذى اضطر الى سرقة رغيف عيش من مخبز والد زعرب وكاد المارة أن يقتلوه لولا تدخله والافراج عنه ، واليوم ينقلب الحال ويصبح الشيخ زعـــرب مجذوبا مثل المرحوم كتكوت وفى حاجة الى رغيف عيش بعد أن أتت النيران على مخبزه وتشاء الاقدار ان يتلقفه ابن الشيخ كتكوت صـــاحب محل البقالة ليعطيه رغيفا قبل أن تمتد اليه يده ، وفاء لما صنعه مع والده بل ويعده برغيف كل يوم مدى الحياة ·· فلا يملك الشيخ زعرب الا أن يترحم على الشيخ كتكوت ويمضى ·

ويقدم لنا « ســلامة » شخصية ثالثة غير ســـوية كذلك ·· شخصية « على السعداوى » المدعى « الفشار » الذى « يسوق الهبل على الشيطنة » فهو رجل بلا عمل ومع هذا يدعى أنه سيعمل مستشارا لرئيس مجلس ادارة الشركة العامة للأسمدة بدلا من أن يعترف بالحقيقة ، حقيقة أنه سيعين ساعيا على بابه ، وكذلك كان يـدعى أن الطبيب الذى كان يعمل ممرضا عنده ، لا يفهم فى الطب ، وكان الأمر يصل الى اجراء الكشف الطبى على المرضى وكتابة روشتات العلاج للمرضى بدلا منه ، ولهذا ترك العمل وفضل ان يقدم الخدمات العامة للناس ، فهو يفهم كل شىء ويعرف خبايا كل شىء ، وهو بمعنى آخر « شيخ حارة » تماما مثل « عبيط تيمور » ومثل « زعرب السباعى » ·· ومع هذا فالجميع يعلمون حقيقته ويعاملونه على هذا الأساس ·· حتى ذهب مرة للعلاج بالمستشفى والكشف الطبى

توطئة للتعيين فى وظيفة « الساعى » أو « المستشار » ، فتدخل وتداخل وصار عنصرا يعتمد عليـــه الصـــيدلى والطبيب وعيادة التحليل ، بل ومدير المستشفى ، ونسى وظيفته الجديدة وأقام فى المستشفى وطلب يد ابنة « الحارة » التى كان يحبها ولا يجد مالا ليخطبها ، فقد انهال عليه « البقشيش » من كل صوب ، ولم ينس ابناء حارته فهو يجلب لهم الدواء ويساعدهم على اجراء الكشف عليهم بالمستشفى وهكذا ·· الى أن مات « على السعداوى » الشبيه كثيرا بشخصية على بك مظهر المسرحية ، وان كانت قد كتبت القصة قبل المسرحية ··ويكشف موته عن العجب ، كل العجب ، فقد أخذ الناس المحترمون يتوافدون بلا انقطاع على الحارة لتقديم واجب العزاء ، مما جعل صاحب المقهى يستأجر مزيدا من الكراسى ويقدم مزيدا من القهوة السادة على حسابه وحساب رواد المقهى ترحما على فقيدهم العزيز ، فلما ظهرت الجريدة فى اليوم التالى فوجىء أهل الحارة باسم على السعداوى مسبوقا بلقب دكتور فى نعى وزارة الصحة ونقابة الاطباء والمستشفى ونقابة الصيادلة وهيئات كثيرة كما فوجئوا بمندوب الرئاسة والداخلية والمحافظة يتقدمون «الجنازة» فاضطروا لجمع التبرعات لاقامة سرادق يليق بمقام الفقيد عميد حارتهم وكبيرها دون أن يفارقهم العجب بازاء هذه الشخصية الفذة التى استطاعت أن « تضحك » على المسئولين وتقنعهم بغير حقيقته المتواضعة للغاية ·

هذه الشخصيات الثلاث لا تختلف الا فى التناول والمعالجة والاسلوب ليس فقط لأن ثلاثة من خيرة كتابنا هم الذين قدموها ، ولكن لانهم يمثلون فى الوقت نفسه ثلاثة أجيال متعاقبة الى حـــد الالتصاق وممتدة بخيط دقيق هو خيط الصلة والتواصل دون انقطاع بين الجذور والفروع أو الاجيال ·

أما الاختلاف فى التناول فيتخذ عند « تيمور » شكل الحديث

الداخلى وان كان البطل الشخصية الرئيسية ، هو الذى يخاطب نفسه موجها حديثه الى شخصية أخرى لا تسمعه وهى هنا أمه ٠٠ ثم يستمر فى سرد الاحداث على طريقة الاسترجاع أو « الفلاش باك » مع مواصلة توجيه حديثه الداخلى الى أمه التى لا تسمعه بين حين وآخر أو فقرة وأخرى ٠

ويتخذ التناول عند « السباعى » شكل المباشرة بين الكاتب والقارىء ، فالكاتب يخاطب القارىء ويخبره فى البداية أنه سيقص عليه قصة ، ثم يشركه معه فى أحداث هذه القصة ، ويفترض أنه ينصت اليه أحيانا ، ويشرد منه أحيانا أخرى ، يمل القصة حينا آخر وهكذا طوال القصة التى يعلق الكاتب على أحداثها بشكل عام وعلى الشخصية بشكل خاص خلال السرد ٠٠ ولعل « السباعى » يشترك مع « تيمور » فى جزئية من طريقة التناول هى جزئية الاسترجاع أو « الفلاش باك » ٠

بينما يتخذ التناول عند « سلامة » الشكل الحديث من ناحية والطبيعى من ناحية أخرى ، وهو وصف الشخصية الرئيسية والأحداث المحيطة بها بطريقة موضوعية لا دخل للكاتب فيها ولاتدخل من جانبه ، فلا هو يخاطب القارىء ولا هو يترك بطله يخاطب نفسه أو غيره ولا هو يلجأ الى طريقة الاسترجاع أو « الفلاش باك » ليعمق الأحداث أو يلقى ضوءا على الشخصية أو يمسك بما قد أفلت منه من وصف أو توصيف أو صفات ٠ وذلك هو التناول السوى للقصة القصيرة ، دون أن يتعارض هذا التناول السوى مع الشخصية غير السوية التى يتناولها ٠

وأما الاختلاف فى المعالجة فيتخذ عند « تيمور » شكل « الرفض » فبطله يرفض فكرة الناس عنه ، فكرة أنه « عبيط » ويرفض الخضوع للأمر الواقع ، فهو يحاول تغيير واقعه بأن يرتفع من

مجرد تابع للسيدة الى عشيق لها ٠ ويرفض الاستسلام ، فهو عندما يفاجأ باتخاذ سيدته رجلا آخر غيره يقتلها ويتخلص منها ٠٠ أما بطل « السباعى » فيتخذ من « الهروب » وسيلة لاستمرار الحياة ، فهو بعد احتراق مخبزه ، مصدر رزقه وسنده الوحيد فى الحياة ، يلجأ الى أولياء الله ويرتدى ثوب المجاذيب يطوف الموالد والمحافل الدينية وخاصة المحمل ثم ينتظر رغيف عيش هو بائع الخبز كله وصانعه فيما مضى ٠٠ بينما يتخذ بطل « سلامة » من « اللامبالاة » وسيلة لاستمراره فى المظاهر التى يقابلها الناس بالسخرية لأن اللامبالاة تمكنه من سلوكه غير السوى سواء اقتنع فى داخله بأنه غير سوى أو ظن فى داخله أن الآخرين هم غير الاسوياء وهو وحده السوى ٠٠ ومع هذا فالكتاب الثلاثة يشتركون فى طريقة واحدة هى « المبالغة » المبالغة فى وصف الشخصيات والمبالغة فيما انتهت اليه تلك الشخصيات ٠

واما الاختلاف فى الأسلوب فيتمثل فى اللغة المتقعرة ، الكلمات القديمة غير المستخدمة والعبارات المعقدة غير السلسة والتى أخذت حدتها تخف من جيل الى آخر ، فمن جيل تيمور الى جيل السباعى ومن جيلهما الى جيل سلامة اختفت اللغة والكلمات والعبارات المتقعرة والقديمة والمعقدة أو خفت ٠٠

فهذا هو تيمور الذى يقول مثلا : « مافى ذلك ريب » و « كانت حياتنا معا موصلة الحلقات ، بيد أنى أؤكد لك على الرغم من ذلك أنك لم تسبرى غور هذه النفس البشرية » و « مكنون صدرى » و « هائل فاجع » و « صه ياأمى » و « لم يكن أصلب منى عودا ولا أشد بنية » و « تزداد فى لبوسها الأسود حسنا » و « ذلك خفق أقدام أمهم على الأرض الصلبة ، تتجه نحو الحاصل » ٠٠

وها هو السباعى الذى يقول مثلا : « حتى لاتضل بين الاخاديد

والتجاعيد والوهاد والنجاد » و « وقد تكأكأ فيها حشد من القوم » و « رفع عقيرته بالغناء » و « الثلة العجيبة من الاولياء » و « تراهم بين أكرش منبعج وأعرج وأكتع وأحدب وأعور » و « وكان الناس قد تكأكاوا فى الشوارع حتى لم يبق هناك موطىء لقدم » و « انهال عليه باللوم » و « مرت السنون » و « وقع بصره فجأة على حانوت للعيش » ..

ثم يجىء سلامة فيخفف حدة هذه العبارات وتلك الكلمات وان لم يتخلص منها تماما ، فهو يقول مثلا : « كان لكل أمله أن (يحصل) على وظيفة ، وظيفة ثابتة (يحصل) منها على راتب » و « على سبيل الاقتراض » و « هاتوا البرقيات ، هاتوا جرائد اليوم » « لم تعد مقهى .. » . وهكذا .

وهكذا تتعاقب الاجيال الأدبية ، تتفق فى صفات وعلى مواصفات وتختلف فى الوقت نفسه فى الطريق والطريقة ، ليتأكد شىء واحد أو حقيقة واحدة هى أن كل جيل يفيد من الاجيال السابقة عليه فى نواح كثيرة ويتلاشى ويتحاشى العيوب والاخطاء والهنات التى تقع فيها تلك الاجيال السابقة .

هذا ما حاولنا استكشافه وتأكيده فى هذه الدراسة المقارنة المحدودة كنموذج لدراسة أكبر أو دراسات أعمق .

الرواية المغربية ٠٠ من أين والى أين

فى مقدمة كتابه « الرواية المغربية » يقول « عبد الكبير خطيبى » لقد حاولت أن أقدم أهم الروايات المغربية ، تلك التى تعتمد على الرؤية الاجتماعية ، فان مايميز رواية عن أخرى هو ذلك الحس الاجتماعى المرتبط بداهة بالوضع السياسى ٠

ونستخلص من مقدمة « عبد الكبير الخطيبى » ظاهرتين على جانب كبير من الأهمية ، الظاهرة الأولى هى أن فئة من المفكرين فى فرنسا كانوا أكثر تفهما وتعاطفا وتحمسا لكتاب الرواية المغربية ـ ومعظمهم يكتبون بالفرنسية ـ من غيرهم ٠ على الرغم من هجوم هؤلاء الكتاب الضارى على الحضارة الاوروبية والفرنسية بالذات خاصة بعد نشوب الحرب الجزائرية وعلى الرغم أيضا من تمسك هؤلاء الكتاب بقوميتهم العربية وقيمهم الاجتماعية ودينهم الاسلامى ٠٠ والظاهرة الثانية هى ان كتاب الرواية المغربية استطاعوا ان يثروا الحركة الأدبية الفرنسية وان يسجلوا أسماءهم وأعمالهم فى تاريخ الأدب الفرنسى وأبرز هؤلاء محمد ديب ومولود فرعون ومالك حداد وأسيا جبار وكاتب ياسين ومولود معمرى ومارجريت كاروسا وطاهر بن جلون ٠٠

ولقد صحب تألق هؤلاء الكتاب ظهور عدد من النقاد والدارسين لأدبهم مثل البير ميحى ومصطفى الأشرف وعبد الله لاروى ومحمد رشاد الحمزاوى وعبد الكبير خطيبى نفسه ٠٠ اما فى فرنسا فان أبرز من تصدى لهذا الأدب الوليد اثنان من الدراسين أولهما مدافعا وهو المصرى المقيم فى فرنسا الدكتور « أنور عبد الملك » من خلال

كتابه « الشرقية فى خطر » والثانى مهـــاجما وهو ناقد الفيجارو الفرنسى « روبير كامب » المصدوم دائما فى جرأة الكتاب المغاربة وهجومهم المستمر على الفرنسيين وحضارتهم ٠

ولكن لماذا الرواية دون غيرها من أشكال التعبير الأدبية ؟

يقول « عبد الكبير خطيبى » أن الرواية شكل غربى لم يزدهر الا فى القرن التاسع عشر ولم يعرفه العرب الا فى القرن العشرين ٠ ولهذا لا يصبح غريبا أو مستغربا أن يلجأ العرب الذين يكتبون بالفرنسية الى هذا الشكل الراسخ لكى يضمنوه قضاياهم المثارة حتى يحققوا هدفين غاليين أحدهما يرتبط بالشكل حيث تتوفر القيمة الفنية للعمل الأدبى والآخر يرتبط بالانتشار حيث تسهل مهمة القراءة دون اللجوء الى الترجمة والتعرض لضياع المعنى اثناء القيام بعملية النقل من لغة الى أخرى ٠

ورغم هذه الاستعارة شكلا ولغة فان بعض الكتاب المغاربة قد حاولوا استحداث أشكال أدبية تساير طموحاتهم الفكرية مثلما فعل كاتب ياسين فى روايته المتميزة « نجمة » ٠

فاذا كان كتاب الجزائر قد ظلوا لفترة طويلة يكتبون بالفرنسية نتيجة تأخرهم فى الحصول على الاستقلال وحاجاتهم الى مخاطبة المستعمر بلغته بل وبفنه ، فان كتـــاب المغرب وتونس قد لجأوا مباشرة الى لغتهم العربية وان استعاروا هم ايضا الشكل الفنى الغربى مع محاولة تعريب هذا الشكل وصـــهره فى بوتقة التراث القومى والفلكلور الشعبى المتأصلين فى الشرق الأوسط الممتدين عبر الشمال الافريقى ٠

واذا كانت الموضوعات الانسانية الخالدة تنحصر فى الحب والحقد والكراهية فان كتاب شمال افريقيا بصفة عامة قد اضافوا

الى هذه المشاعر الشعور بالثورة وذلك منذ عام ١٩٤٥ على وجه التحديد ٠

واذا كان هؤلاء الكتاب وخاصة الذين كتبوا بالفرنسية قد استهدفوا المستعمر ، فماذا فعلوا بعد استقلال ١٩٦٨ النهائى وماذا هم فاعلون الآن ؟

موقف الرواية المغربية

المعروف ان مصطلح « الرواية المغربية » يطلق على الجزائر وتونس فضلا عن المغرب حتى لا يشاع الاعتقاد بأنه مصطلح خاص بالمغرب وحـــده ٠٠ ففى الجزائر بدأ كل من « لويس برتراند » و « روبير راندو » بكتابة الرواية المعبرة عن شمال أفريقيا باللغة الفرنسية ولكنها كانت محاولات لا تعدو تقليدا لأندريه جيد وهنرى دى مونترلان ٠٠ حتى كتب « عبد القادر حاج حامو » فى عام ١٩٢٦ رواية بالفرنسية بعنوان « زهرة ، زوجة عامل المنجم » التى اقترب فيها من مشاكل مجتمعه وبأسلوب واقعى ، ثم جاء « البيركامو » و « جول روى » وعلى الوجه النقدى « جاك بيرك » ليقلبوا الوضع مسجلين اسماءهم فى تاريخ الأدب الفرنسى وليس الجزائرى مما يدعو الى استثنائهم من بانوراما الرواية المغربية دون استبعادهم من تاريخ الأدب فى شمال افريقيا ٠٠ وبظهور « مولود معمـرى » وروايته الأولى « الوادى المنسى » التى نشـــرت فى باريس عام ١٩٥٢ يتحدد ميلاد الرواية الجزائرية بصفة خاصة والرواية المغربية بصفة عامة ٠٠ ومع هذا لم يقف معمرى وحده ، فقد أصدر « كداش محفوظ » فى العام التالى أولى رواياته « صوت الشباب » ٠٠ ولم

يتوقف معمرى بعد ذلك فقد أصدر فى عام ١٩٥٦ روايته الثانية « نوم العدل » ٠

وبظهور هاتين الروايتين ولد أول ناقد ودارس للرواية المغربية وهو « مصطفى الأشرف » الذى جاء بمثابة المنظر لهذه الطفرة الأدبية المتألقة ، وكان أهم ما أشاد به فى هذه الروايات الثلاث هو « الضمير الوطنى » و « الصدق الفنى » نظرا للواقعية وتصدير الأمر الواقع بعيدا عن الأمانى والأحلام والهرب الى المستقبل المجهول ٠

وفى المغرب اشترك كل من «سى قدور بن شابريت» و « عبد الخالق اتوريس» و « محمد تازى » فى كتابة المقالات والقصص والانطباعات التى لم تقترب من فن الرواية ولكنها كانت جميعا باللغة العربية ٠ هذا اذا استبعدنا من المجال الروائى شاعر القومية العربية الكبير « محمد علال الفاسى » الذى ظهر جليا فى عام ١٩٢٩ ٠٠ اما « دريس شرايبى » فقد هوجم هجوما عنيفا من مثقفى المغرب لمجرد أنه اختار الحياة فى باريس مع ان غالبية الكتاب قد عاشوا هناك زمنا طويلا امتد الى عام التحرير عام ١٩٦٨ ٠٠ الا ان الهجوم ينطوى فى حقيقته على المضمون الميتافيزيقى لروايات شرايبى نفسها ، فهو يعترف بأنه ليس مع الاستعمار ويعترف صراحة بأنه ليس ضد الاستعمار ٠ ويعلن عن رغبته فى ان يكون كاتبا انسانيا عالميا وليس كاتبا اجتماعيا محليا ٠٠ وعلى الرغم من عودته الى ينابيعه الأصلية والأصيلة بعد ذلك الا ان الوقت كان قد فات على حد تعبير النقاد المغاربة بصفة عامة ٠

وفى تونس نص دستور ١٩٣٠ على تدريس اللغة العربية واعتبارها اللغة القومية للبلاد ٠ ساعد على تطبيق هذا القرار الوطنى انشاء كليتى الزيتونة وصديقى ٠٠ ولهذا برز الشاعر الكبير

«أبو القاسم الشابى» على المستوى العربى وقدم «على الدواوجى» أول رواية تونسية باللغة العربية عام ١٩٣٥ ٠٠ وارتبط الأدب بالسياسة فى تونس وساد المصطلح الفنى الجديد للرواية النفسية الاجتماعية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وان تأثر كتاب المنطقة العربية فضلا عن تونس بكل من بروست وكافكا وجويس ٠

وقد مرت الرواية المغربية بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٣ :

وهى المرحلة التى اعتمدت على الوصف التحليلـــى للحياة اليومية من ناحية وتمجيد البطولات التاريخية المستمدة من التراث الشعبى من ناحية أخرى ٠ ففى الوقت الذى تفشت فيه ظاهرة الرواية البوليسية وخاصة فى أوروبا وجنوب امريكا لجأ كتاب شمال افريقيا الى الف ليلة وليلة ٠ ليؤكدوا على دور المغامرات المعتمدة على الحيلة والشجاعة والفداء فى تراثهم القومى ٠٠ وابرز اعلام هذه المرحلة الأولى مولود فرعون ومولـــود معمرى ومحمد ديب (فى اعماله الأولى) ٠

والمرحلة الثانية من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٥٨ :

وهى المرحلة التى اســـتهدفت تغريب الثقافة الاوروبية اى جعلها ثقافة مغربية عربية خالصة ، فى الوقت الذى سادت فيـه فكرة الخلاص والبحث عن الذات دون الالتفات الى تجارب الآخرين عملا بالحكمة القائلة بأن لكل شعب ظروفه وشخصيته وسيرته ٠٠ وابرز اعلام هذه المرحلة الثانية البير ميحى (من خلال روايته تمثال الملح) ودريس شرايبى (من خلال روايته الماضى البسيط) وكاتب ياسين (من خلال روايته نجمة) ٠

والمرحلة الثالثة من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٢ :

وهى مرحلة الأدب الداعى الى الاستقلال المنصب أساسا على الحزب الجزائرية بمعنى ان الالتزام بالوطن وبقضاياه هو الاساس بغض النظر عن اللغة التى يعبر بها الكاتب عن هذا الالتزام ٠٠ بل أدى هذا الازدواج الى كشف المستغمر لمجرد ضمان وصول هذه الصيحات اليه والى من يقرأون لغته لجهلهم بلغة الوطن المكافح ٠٠ وأبرز اعلام هذه المرحلة الثالثة آسيا جبار ومالك حداد ومحمد ديب (فى اعماله الأخيرة) ٠

ولعل مرحلة رابعة لاتزال فى دور التكوين لأنها مرحلة الهدوء والتقاط الانفاس تلك التى تلت الاستقلال النهائي وأخذت تصفى الصراعات الداخلية وتعمل على البناء الوطنى وتتطلع الى مستقبل أفضل ، ولهذا تناقص عدد الروايات من ناحية ولم تلمع أسماء جديدة فى سماء الرواية المغربية على الاطلاق ٠

فنون الرواية المغربية

من خلال جدول بيانى مبسط يتضح ان عدد الروايات التى كتبت بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٦٢ (أى على مدى ١٨ عاما) لم يزد عن ٤١ رواية ، ٣٤ منها باللغة الفرنسية و ٧ فقط باللغة العربية موزعة على المغرب وتونس دون الجزائر ٠

ومن هذا الجدول ايضا يتضح ان عدد النسخ يتراوح بين ١٥٠٠ الى ١٥٠٠٠ الف نسخة ، لم يهتم بنشر طبعات شعبية منها غير « غمانويل روبليس » الجزائرى الأصل الذى خصص للأدب المغربى طبعة اسماها « ميديترانيه » ٠

ومن هذا الجدول نتبين ان الروائيين المغربيين لم يزد عددهم على ٢١ روائيا ١٣ منهم يعملون بالصحافة والتعليم واثنان يعملان بالوظائف الحكومية واثنان يعملان بالمهن المختلفة وأربعة متفرغون للكتابة ٠

فاذا كان الروائيون الذين يكتبون بالفرنسية قد تأثروا بأدباء أوروبا والفرنسيين منهم بصفة خاصة فان الروائيين الذين يكتبون بالعربية على قلتهم قد تأثروا بالادباء العرب والمصريين منهم بصفة خاصة ٠٠ ومع هذا فان عددا من كتاب اللغة الفرنسية لجأوا الى الإعمال العربية المترجمة لكبار الكتاب مثل طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ واستطاعوا ان يمزجوا بين تأثرهم الغربي ومحاولة التأصيل العربية ، ولهذا فان كانت الرواية المغربية قد كتبت باللغة الفرنسية الا ان الروح نفسها ظلت عربية بل ومحلية جدا في بعض الاحيان ٠

وفي الوقت الذي لم يعان فيه كتاب اللغة الفرنسية من مشكلة بين اللغة الرفيعة واللغة العادية وهو فارق نوعي يتصل بالأسلوب أكثر من اتصاله باللغة نفسها ، فان كتاب العربية قد واجهوا مشكلة ازدواج اللغة ، فهم يكتبون مثلما يتكلمون مع فارق بسيط هو الفارق الكبير بين لغة الكتابة ولغة الكلام أو بين الفصحى والعامية فمنهم من التزم بلغة « القرآن الكريم » نصا وروحا ومنهم من لجأ الى الفصحى الحديثة ان صح التعبير ، ومنهم من كتب فصحى الجرائد والمجلات ، وقليلون هم الذين جرأوا على استخدام العامية وان لم يكن استخداما كاملا ، فقد قصروا استخدامها على الحوار ، أما السرد فقد ظل يكتب بالفصحى وان كانت هي الفصحى المخففة ٠٠ وهذه المشكلة لا تقتصر على كتاب الرواية المغربية ولكنها تمتد الى الوطن العربي كله وخاصة بعد فشل المحاولة التي بدأها « توفيق الحكيم » وأطلق عليها مصطلح « اللغة الثالثة » ٠

توعية الرواية المغربية

تنقسم الرواية المغربية الى خمسة انواع متميزة ·· أولها ·· « الرواية الشعبية » وهى الرواية التى تهتم بوصف الحياة اليومية مع التركيز على العادات والتقاليد المتوارثة والمكتسبة ·· وثانيها « الرواية التاريخية » وهى الرواية التى تستهدف البطولات المعاصرة بالرجوع الى البطولات التاريخية··وثالثها «الرواية السيكولوجية» وهى الرواية التى تنفذ الى الحياة الداخلية للناس ·· ورابعها « الرواية الواقعية » وهى الروايـة الاجتماعية التى ترسم صورة مكبرة للحياة الاجتماعية وظروف هذه الحياة ·· وخامسها « الرواية الرمزية » وهى الرواية التى تلجأ الى الرمز والتلميح خشية المواجهة والتصريح وخاصة فى زمن الاحتلال والحرب ·

أما الشكل فاما أنه يميل الى الترجمة الذاتية أو السيرة الذاتية أو الاعترافات واما أنه يتعرض لحياة الآخرين ·· وقد استخدم الشكل الأول ضمير المتكلم احيانا والضمير الثالث احيانا أخرى · بينما اتخذ الشكل الثانى أسلوب السرد والحوار ·· الشكل الأول وان كان ذاتى النزعة الا أن كاتبه كان يتخذ من نفسه نموذجـا لمواطنيه ومقياسا لظروف الحياة اما الشكل الثانى فهو جماعى النزعة بالضرورة وان لم يكن كاتبه ملتزما دائما · فهو يتأرجح بين العمل على اثارة القضايا الكبرى والمصيرية والرغبة فى التكشف عن السلبيات الشخصية أو الجماعية لمحاولة تفاديها وعلاجها من أجل مجتمع أفضل وحياة أكرم ·

الا ان الظاهرة الصحية والطيبة وسـط كل هذه الأشـكال والأساليب والمواصفات والأهداف هى ان ذلك الأدب الروائى منذ

مولده وحتى اشتداد عوده مرورا بأعقد الأزمات وأروع الاختبارات لم يكن أدبا موجها أو دعائيا بل كان أدبا انسانيا بأصدق المعانى وأشرف النوايا والغايات ٠

ولا يعنى ذلك أن كل كتاب الرواية المغربية قد حافظوا على هذا الاطار وتلك المضامين فقد لجأ البعض الى ما يسمى بالفن للفن دون الالتفات الى القضايا المصيرية الملحة والمشاكل الاجتماعية المثارة ٠ فكان مصيرهم النقد والانتقاد وكان مصير اعمالهم الفشل والاهمال ٠٠ فالتونسى « على الدواجى » حاول مقلدا المصرى « عبد القادر المازنى » استخدام الأسلوب الساخر فى كتاباته العربية فضلا عن اختياره لأدب الرحلات ، فقد طاف بموانى البحر المتوسط وعواصم أوروبا ـ والمغربى « دريس شرايبى » حاول اكتشاف المجهول أو الميتافيزيقا رغم تخصصه فى الكيمياء مدعيا انه يقترب بذلك من الانسان فى كل زمان ومكان دون ان يضطر الى حصر نفسه فى انسان اوروبا المستعمر أو انسان المغرب المستعمر ٠٠ ولكنه عاد بعد الهجوم العنيف على نظرته ونظريته الى المشاركة فى أحزان وطنه والعمل على التخلص والخلاص ٠

وهكذا لم تفلح ولم تنجح أساليب معروفة ومنتشرة فى العالم أجمع أبرزها كما رأينا « الاسلوب الساخر » و « الميتافيزيقا » لأن الظروف لم تكن ملائمة والحاجة الى أدب ملتزم كانت ملحة وان لم يتم ذلك بالتوجيه رغم ما حدث من ضغط على بعض الكتاب لتصحيح مسارهم وتهديف مسيرتهم ٠

ولعل « جان حمروش » هو نموذج لكتاب جيل المعاناة الذين عبروا عن الغربة سواء خارج أوطانهم أو داخلها ٠

كان على الكتاب المغاربة أن يحددوا دورهم الرائد منذ البداية ولكنهم سرعان ما صدموا بالتيارات المختلفة والتى يزدحم بها تاريخ الأدب العالمى أو الأدبين المغربى والعربى على أقـــل تقدير لأنهما الأقرب اليهم ٠

فاذا كانت الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة والواقع هى المصدر الغربى المرفوض فان الرومانسية وهى المصدر العربى بقيادة جبران خليل جبران والمنفلوطى ونعيمة والشابى ومحمود تيمور تعد هى الأخرى مرفوضة ٠٠ اما المفروض فهو الذى حسم الصراع حقا ، وذلك نتيجة للعوامل الخارجية ٠٠ فالمستعمر جاثم على صدر الأمة وثقافته المزيفة تستهدف روح هذه الأمة وضميرها ٠٠ ولهذا وقع الحمل الأكبر على كاهل هؤلاء الرواد الجدد أو الرواد الشباب برغم طراوة كواهلهم وضعف بصائرهم وبصيرتهم ٠٠ تلك الكواهل التى ما لبثت أن اشتد عودها وتلك البصائر والابصار التى قويت رؤيتها بفضل الخبرة والممارسة برغم العزلة ورغم الأزمة وفى قلب ضراوة الاحداث ٠

يقول ميخائيل نعيمة « الكاتب هو فى الحقيقة فيلسوف ، فهو يرى ما لا يراه الآخرون ويقول مالا يقدر الآخرون على قوله » ويرى محمود تيمور ان الكاتب « مرآة المجتمع والناس فهو يعكس ما يرونه ويعبر عما يجيش بصدورهم وأفئدتهم » ٠

وعلى هذا لا يمكن القول بأن الأدب المغربى أو الرواية المغربية قد أشعلت النضال ولكنها قد مهدت لهذا النضال بكل تأكيد ، ونعنى به نضال الجزائر الذى كان آخر معول ينزل على جدار الاستعمار

ليمحو الهزيمة والعار عبر التاريخ الطويل الممتد والمتمدد أيضا ٠٠ وباتت كلمات الغضب والازدراء والدم والمقاومة من ابرز ما ورد فى قاموس هؤلاء الكتاب ٠

رواد الرواية المغربية

يشترك رواد الرواية المغربية فى صفات كثيرة كتلك التى ذكرناها حتى الآن ، رغم انتمائهم الى ثلاثة أوطان عربية متاخمة الحدود ٠ ولكن لكل منهم صفاته الخاصة بحيث يتميز أدبه سواء على مستوى الرواية المغربية أو على خريطة الأدب الروائى فى العالم كله ٠٠ وكما تمثل المرأة العربية فى عصرنا الحديث فى كافة المجالات والأنشطة الانسانية والاجتماعية نراها وقد مثلت فى عالم الرواية المغربية خير تمثيل ٠

مولود فرعون :

ولد بمدينة تيزى ـ هيبال الجزائرية عام ١٩١٣ لأب فلاح غير مهنته فى فرنسا الى عامل ٠ درس مولود بمدرسة المعلمين وتدرج فى مهنة التدريس حتى أصبح مديرا لمدرسة الجزائر ٠٠ ساهم بالكتابة فى العديد من المجلات المعربية والفرنسية ، اصدر روايات « ابن الفقير » ١٩٥٠ « الأرض والدم » ١٩٥٤ « الطرق الصاعدة » ١٩٥٧ ٠٠ وأصدر « المذكرات » عام ١٩٦٢ ٠٠ قتل فى ١٦ مارس ١٩٦٢ فى فجر معركة الاستقلال ٠

اما الرواية الأولى فهى عبارة عن ترجمة ذاتية تحكى حياة مولود طفلا فى القرية ثم شابا يعانى الفقر والهوان مثل سائر ابناء

شعبه ثم رجلا يشق طريقه بالكفاح والعرق حتى يصل الى منصب متواضع ولكنه كبير بالنسبة لابناء جيله المقهورين والمحرومين من الزاد العلمى والثقافى على السواء ٠

وتجىء روايته الثانية لتحرك الشخصيات الساكنة وتفجر فيهم المشاعر الجامدة فقد تعلموا الكراهية كما تعلموا الحب وتعلموا السخرية كما تعلموا العطف والحنو والتسامح ٠٠ وبينما كانت الرواية الأولى ترجمة حياة جاءت الرواية الثانية سيرة حياة ، سيرة عامل بسيط يعود الى قريته بعد خمسة عشر عاما قضاها فى المهجر فى فرنسا بلد الاعداء وتزوج من فتاة فرنسية سرعان ما يضيق بها عند العودة ، فقد التقى بمحبوبته القديمة ابنة بلده ، ويظل يعانى من هذا التمزق فيندفع نحو الانتحار كحل للخروج من الازمة ٠

وتكمل الرواية الثالثة أحداث الرواية الثانية فبطلها هو ابن العامل المنتحر الذى ينتحر هو الآخر فى نهاية الأمر نتيجة للحصار المفروض حوله خاصة بعد أن عاش أربع سنوات فى بلد أمه الفرنسية وعاد ليقع فى حب ابنة عمه التى يستدرجها أحد الضباط الفرنسيين فلا تملك الا ان تصارح ابن عمها بالحقيقة المرة ، والتى تؤدى الى انتحار الفتى مثلما فعل أبوه ، وكأن الانتحار وراثى فى هذه العائلة المنكوبة ٠

ولكن مولود فرعون لا يقف عند سرد الأحداث بطريقة واقعية ولكنه يتوقف عند وصف الحياة اليومية لأبناء القرية بالاضافة الى اللعب بالرمز من خلال أسلوب يتميز بالحرارة والدفء ولا يخلو من الأمل وان امتلأ باليأس والأحزان ٠

مولود معمرى :

ولد عام ١٩١٧ بمدينة تارويت بالقرب من زميله مولود فرعون

بالجزائر ، ودرس بالمدارس الجزائرية والمغربية والفرنسية ثم عمل مدرسا حتى وصل الى منصب استاذ الدراسات الأدبية بجامعة الجزائر ٠٠ له ثلاث روايات « الوادى المنسى » ١٩٥٢ ، « نوم العدل » ١٩٥٥ « الافيون والعصا » ١٩٦٥ ٠

الرواية الأولى تدور أحداثها فى احدى قرى الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٤ بالتحديد وابطال الرواية ينقسمون الى فريقين أولهما من اتباع الوالى يعيشون على الخمر والرقص وثانيهما ابناء الفلاحين يتمرغون فى الأرض والفقر ، ويستدعى الجميع للمشاركة فى الحرب ، فيودع كل منهم أقاربه ومعارفه حتى يتوقف الكاتب عند واحد من الفريق الأول وآخر من الفريق الثانى يودع كل منهما حبيبته ليصور لنا مشاعر كل فريق أو كل طبقة ومدى استعداده للتضحية والفداء أو التراجع وحب الذات ٠

اما فى الرواية الثانية فيحاول معمرى أن يدفع بأبطاله الى ساحة الفداء بشىء من الالتزام ذلك أن الحرب ليست حربا غريبة ولكنها حرب الوطن ، فقد انقلب الأمر وأصبح المواطن الجزائرى مدافعا عن أرضه وليس عن أرض غيره ٠٠ ومع هذا فالحرب لم تحقق الاستقلال بعد وكل شىء لا يزال مختلفا ، الخير والشر ، العدل والظلم ، النظام والفوضى ، البطولة والخيانة حتى ان نهاية البطل كانت السجن ونهاية شقيقته النفى ونهاية شقيقه الموت ٠

ونصل الى رواية معمرى الثالثة فنجد ان نبرة اليأس قد بدأت تنتشر فى عباراته فالحرب طالت والموت والفساد تفشى والظلم تسيد ٠

ويقرر مولود معمرى ان يركن الى الصمت حتى تنتهى المعارك الأليمة ليسجل فى هدوء تاريخ المليون شهيد ٠

محمـــد ديب :

ولد بمدينة تلمسان بالجزائر عام ١٩٢٠ ، عمل بعد دراسته الثانوية صانع سجاد ثم مدرسا بالابتدائى ثم صـــحفيا ٠٠ كتب روايات «البيت الكبير» ١٩٥٢ ٠٠ «الحريق» ١٩٥٤ ، «مهنة النسيج» ١٩٥٧ ، « من ذا الذى يتذكر البحر » ١٩٦٢ ، هذا فيما عـــدا مجموعات من القصص القصيرة والأشعار فضلا عن مسرحية واحدة وسيناريو فيلم واحد ٠

منذ الوهلة الأولى نشم رائحة « بلزاك » فى اعمال محمد ديب الذى يعد واحدا من ابرز الكتاب الجماهيريين فهو يصور حياة الناس اليومية مبينا أن هؤلاء لا يركنون الى حياتهم القائمة ولا يرجعون داخل سجنهم الكبير ولكنهم يتحركون من أجل الخلاص بأى شكل وبأى ثمن وهو لهذا يناقش الأوضاع الطبقية لأبناء الشعب الواحد والضـــمير الوطنـــى داخـــل كل واحـــد من أبنـــاء هذا الوطن المحارب والمحارب معا ٠

فبطل الرواية الأولى ممزق الاحساس والارادة فهو لا يعرف الفرق بين غنى وفقير بين فرنسى ومسلم ، فقد تلقى فى مدرسته تعاليم خاطئة ومضللة ، وعندما يخرج الى الحياة العملية يكتشف أن كل شىء مختلف وأن النظرية غير التطبيق وأنه معدم مثل مواطنيه وأن حياته عدم مثل وطنه ٠ فيثور ولكن محاولاته تبوء بالفشل ، فلا يكف عن تصحيح المعلومات للصغار ، ويستسلم لهذا الدور التربوى فلا يزال النضال على الأبواب ٠

وقد عالج « محمد ديب » أدبه بشىء من التجديد متأثرا الى حد كبير بكتاب الرواية الجديدة فى فرنســـا ، فهو وان كان يلتزم بالواقعية الشديدة الا أنه يضع الأشياء فى مكانة لا تقل عن الانسان ويجعل من الزمن عنصرا فعالا ومن الطبيعة اطارا هاما وهو يمزج

فضلا عن هذا كله الواقع بالخيال والحقيقة بالرمز والصور الشعرية بالمواقف اليومية حتى الحرب لم يشأ أن يصفها وصفا تطبيقيا فقد لجأ مثلما فعل بيكاسو فى لوحته الشهيرة « جرنيكا » الى أسلوب الايحاء والتركيز واختيار الجزء للاشارة الى الكل ، وكأنه يجمع بين الاسطورة والتاريخ أو بين الماضى والحاضر فى وقت واحد ومكان واحد ورؤية واحدة ٠

مالك حداد :

ولد بقسطنطينة عام ١٩٢٧ ودرس بها ثم التحق بحقوق اكس اون بروفونس ولكنه هجرها الى الكتابة الصحفية فى فرنسا والجزائر ٠٠ اصدر ديوانين من الشعر وأربع روايات ٠٠ « الانطباع الأخير » ١٩٥٦ ، « سأمنحك وردة » ١٩٥٩ ، « التلميذ والدرس » ١٩٦٠ ، « الرصيف الوردى لا يجيب أبدا » ١٩٦١ ٠

اما روايات مالك حداد فهى « حلم الحلم » على حد تعبيره ، وهى «حياة الحياة» على حد تعبير « عبد الكبير خطيبى » ٠٠ فهو يكرر الملامح العامة التى تشكل أعماله الروائية وهى الوطن والمنفى والسعادة والالتزام ٠٠ فى الرواية مثلا نجد ان المهندس الجزائرى يهدم بنفسه الكوبرى الذى بناه بنفسه ، وفى الرواية الثانية لايريد الطبيب الجزائرى ان يعترف بالجيل الجديد من الأطباء فيصر على اجراء عملية ولادة لابنته فيقضى على حياتها بنفسه ، وفى الرواية الثالثة يظل الكاتب الجزائرى غارقا فى أوهامه الثقافية بعيدا عن احداث وطنه حتى تصيبه رصاصات الأعداء فيخر صريعا ٠

وهكذا نجد ان كل شخصيات مالك حداد شخصيات باهتة ومسطحة وغير واقعية بمعنى انها لا تعيش فى الواقع ولكنها تدفع الثمن حياتها أو حياة المقربين ٠٠ ومع هذا يؤكد « حداد » دائما

على النضال ولو من خلال شخصية ثانوية فى كل رواية من رواياته الأربع ٠

كاتب ياسين :

ولد بمدينة قسطنطينة عام ١٩٢٩ ودرس بكلية «سيتيف» وقبض عليه فى حركة ٨ مايو ١٩٤٥ ٠٠ ثم عمل بجريدة الجزائر ورحل الى الشرق الأوسط وأوروبا ثم استقر بباريس ٠٠ كتب المسرحية والقصة والشعر والرواية ٠٠ وابرز رواياته « نجمة » ١٩٥٦ ، « المربع المرصع بالنجوم » ١٩٦٦ ٠

وقد كان « كاتب ياسين » هو الوحيد من بين الكتاب المغاربة الذى استقبل استقبالا نقديا حافلا ، لا لأنه كاتب عربى يكتب بالفرنسية عن وطنه الذى يعيش ظروفا عصيبة ، ولكن لأنه كاتب وشاعر تفوق على معاصريه من الامريكيين ٠٠ على حد تعبير موريس نادو ٠٠ واقترب كثيرا من رامبو على حد تعبير كلود روى ـ واستطاع ان يتفوق فى النثر والشعر معا وان يخلق لادبه شخصية مستقلة متميزة ٠٠ وفضلا عن كل هذا تمكن كاتب ياسين من تجديد شباب الرواية المغربية فقد أدرك ان المضمون القوى قد يفقد تأثيره بزوال الاحداث المؤثرة اما الشكل الفنى المتميز فهو الذى يبقى وتبقى جاذبيته ٠

و « نجمة » زوجة كمال يحبها أربعة اصدقاء يعيشون معا فى بون ٠ أما نجمة فهى ابنة سيدة فرنسية كانت لها علاقة بوالد أحد هؤلاء الأربعة ٠٠ ويقتل الأب ويشاع ان قاتله هو غريمه فى حب أم نجمة ويلتقى الابن بقاتل ابيه طالبا منه معرفة حقيقة نجمة فى مقابل اطلاق سراحه ، فهل هى ابنة أبيه القتيل أم أنها ابنة القاتل ؟ وتكون المفاجأة عندما يصرح القاتل بأنه والد زوج نجمة وقد يكون هو أيضا والد نجمة ٠

ويرى باشلار ان كاتب ياسين « يمزج الواقع بالخيال ليخلق احداثا غريبة-لا تقل غرابة عما يحدث فى وطنه مركزا على اختلاط الاجناس وما يجره هذا الاختلاط من مشاكل فضلا عن ضياع كل جنس فى الجنس الآخر مما يزيد من الازمة وليس العكس كما قد يظن اساتذة الاجناس والاجتماع ·· فنجمة بطبيعة الحال هـــى الجزائر ، هى المرأة المرغوبة والضحية فى الوقت نفسه ، وهى الوطن المحتل والمنهار معا » ··

اما أسلوب « كاتب ياسين » فهو ذلك الاسلوب الذى يرتفـع بالنثر الى مرتبة الشعر والذى يحلق بالشعر حتى يبدو وكأنه نثر ·· فلا فرق عنده بين النثر والشعر ، كلاهما شفاف وكلاهما نغم وكلاهما حياة ·· كذلك تبدو القصيدة وكأنها رواية والرواية كأنها مسرحية والمسرحية كأنها قصة وهكذا فلا فواصل عنده ولا حدود بين أنواع العمل الفنى لأنه يقدم فى النهاية عملا فنيا ·

آسيا جبـار :

ولدت بالجزائر عام ١٩٣٦ ودرست بالمدارس الثانوية وحصلت على منحة بالمدرسة العليا بباريس وعينت معيدة بجامعة الرباط ثم أستاذة بها ·

اصدرت ثلاث روايات « العطش » ١٩٥٧ ، « النافذ والصبر » ١٩٥٨ ·· « اطفال العالم الجديد » ١٩٦٢ ··

وتقارن أولى روايات « اسيا جبار » دائما برواية فرنسواز ساجان « صباح الخير ايها الحزن » كما تقارن بروايات ليلـــى بعلبكى ·· فشخصيات « العطش » يموتون من الحب والرغبة فى ظروف غامضة ·· ولكن الفرق بين ساجان أو بعلبكى وبين آسيا جبار هو ان الكاتبة الجزائرية تعنى وطنها قبل كل شىء ولا تقف

بسذاجة عند جسد المرأة ورغبتها كما تصور بعض النقاد فهاجموها هجوما عنيفا ·· ولهذا حاولت فى روايتها الثانية أن تكشف عن حجاب رموزها ·

وهنا تنبه النقد الى فكر « اسيا جبار » وطريقتها الخاصة فى صياغة الرمز ، لأنها تكره المباشرة والواقعية كما تكره الخيـــال والميتافيزيقا أيضا ·· ولهذا جاءت روايتها الثالثة التى كتبتها فى منفاها بالمغرب اثناء اشتداد المعارك صورة حية من خلال نماذج عديدة للمرأة الجزائرية ودورها الفعال فى حرب الاستقلال ·

والى جانب هؤلاء لا يمكن للدارس للرواية المغربية والراصد لحركتها أن ينسى « عبد القادر بك هاشـــمى » و « عبد المجيد بن جاللون » و « مراد بوربون » و « جميلة ديباشا » و « خايف البشير » و « هنرى كربياه » و « محمود المسعدى » و « مالك عوارى » و «محمد الصباغ » و « احمد سفريوى » و « مارجريت حمروش طاووس » ·

فهم جميعا قد ساهموا مساهمة فعالة فى ايجاد تيار جديـد فرض نفسه على تاريخ الأدب العالمى ، هذا التيار اسمه « الرواية المغربية » ·· تلك الرواية التى حاولت أن تخرج من سجنها على مدى ثمانية عشر عاما من الكفاح وسنوات طويلة أيضا فى أعقاب الاستقلال ·

ولكن قدرها أنها ولدت مناضلة لتظل كذلك ·· فوجودها أصله اجتماعى ودورها ليس أكثر من دور تاريخى على أهميته وخطواته ·

ومن هنا بقاء كاتب مثل « كاتب ياسين » دون غيره من كتاب الرواية المغربية ·· لأنه استطاع أن يحافظ على التوازن وأن يجمع المعادلة الصعبة ، فلم يفقد أدبه روح النضال التى تمنحه جواز السفر الى التاريخ أو وصف الحياة اليومية الذى يعطيه حق الاقامة داخل المجتمع ، فى الوقت الذى يحصل فيه على تأشيرة خروج الى

العالم الرحب الفسيح من خلال شاعريته ومن خلال ربط الأسطورة بالواقع للتحليق فى المجال الجوى الانسانى والعبور بموانىء العصور الممتدة فى البحر اللانهائى ، بحر الأدب الرفيع ..

والغريب بعد ذلك أن معظم كتاب الرواية المغربية قد وجدوا أنفسهم بلا دور بعد الاستقلال ، فأقاموا اقامة كاملة بباريس « محيى ديب ، كربياه شرابى » وحاولوا كتابة مايسمى بالرواية العلمية . أو اهتموا بتدريس الأدب مع تخصيص مادة كاملة لتاريخ الرواية المغربية كما يفعل معمرى وآسيا جبار .. أو تركوا العمل الأدبى واتجهوا الى العمل السياسى والدبلوماسى مثل المسعدى .. أو استمروا فى العمل الصحفى بعيدا عن الابداع مثل الأشرف وبوربون ثم بن جلون الذى بدأ انتاجه المتميز فى الظهور وخاصة بعد فوزه بجائزة الجونكور ..

ولكن جيلا جديدا يتهيأ لحمل الراية التى لا يزال يمسك بها ويرفعها عاليا « كاتب ياسين » وخاصة بعد أن جرب الكتابة باللغة العربية وحقق نجاحا كبيرا .

فالرواية المغربية التى ولدت ناضجة وفتية لا يمكن أن تموت بالنصر أو تموت من النصر .. فالنصر حياة جديدة وميلاد جديد قادر على تجديد الشباب ، شباب « الرواية المغربية » .

أدباء وفنانون ·· من السودان

قد يظن القارىء ان الأدب السودانى توقف عند شـــعراء السودان الأوائل « التيجانى يوسف بشير » و «محمد احمد محجوب» و « محمد المهدى المجذوب » ثم « محيى الدين صابر » و « جيلى عبد الرحمن » و « سيد الحردك » ·· وكاتبه الروائى الشهير « الطيب صالح » ·

ولكن الحقيقة تكشف عن شخصيات أدبية وفنية لها وزنها فى الحركة الثقافية السودانية بخاصة وحركة الثقافة الافريقية بشكل عام ·· ففى ختام المهرجان الثقافى برز عدد من الشخصيات الأدبية والفنية فى طليعتها :

د · مكى شبيكة

اسهم فى كتابة تاريخ السودان وفى تحقيق تاريخ وادى النيل بشكل عام ·· وتحمل مؤلفاته الأخرى التى تتناول هذا الموضوع الحيوى الهام ؛ وجهة نظر لها أثرها فى أحـــداث المنطقة المرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة من الناحية الجغرافية ·· وهو لهذا يعد الرائد الأول فى مجال العلوم التاريخية الحديثة فى السودان ·

د · عون الشريف قاسم

من الشخصيات البارزة فى المؤتمرات الاقليمية والدولية،ورغم أنه يعمل بالتدريس الا أنه ينكب على العديد من المؤلفات التى تناقش فى اطار عصرى علاقة الدين بالحياة وعلاقة التراث ببناء الشخصية

الحضارية ·· وهو من أشد الرافضين للاستعمار بشتى صوره ليس فقط على أرض السودان ولكن فى جسم الأمة العربية جملة وتفصيلا ·· ولا يقتصر اسهام الدكتور عون على الدراسات الاكاديمية الجادة أو المؤتمرات العلمية ولكنه يكتب أيضـــا فى الصـــحف والمجلات السودانية والأجنبية على السواء ·

عبد الله الطيب

شاعر وناقد وكاتب مسرحى ·· ومثلما يكتب بلغته العربية يكتب ايضا باللغة الانجليزية ··وقد لعب دورا بارزا فى اثراء حركة الترجمة وارساء قواعدها والتأكيد على اهميتها سواء فى التعريف بالحضارة الأجنبية للافادة منها أو بتعريف الأجانب بالفكر السودانى ليحدث هذا التفاعل الحى بين ثقافات العالم المختلفة وخاصة بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث النامية ·

نجم الدين محمد شريف ·

من ابرز الأثريين العرب ، فقد عمل أكثر من خمسة عشر عاما فى انقاذ آثار النوبة وفى انشاء متحف السودان القومى ·· وله مؤلفات عن عالم الآثار ، نال بعضـــها تقدير المؤتمرات الأثـــرية العالمية ·· وقد عهد اليه بالبحث فى عناصـــر الوحدة من حيث التاريخ والآثار والعلوم الانسانية الأخرى ، فنجح فى تقديم النظريات الحيوية التى تؤكد قيام هذه الوحدة الأصلية ، وحدة وادى النيل ··

أحمد محمد شبرين

أحد الذين أسسوا مدرسة الخرطوم للفنون التشكيلية ·· أقام الى جانب التدريس اثنى عشر معرضا خاصا فى السودان وخارج السودان ، كما شـــارك فى المعارض الجماعية المحلية والعالمية ·

ليتأكد اتجاهه الخاص فى الخطوط وتطويرها ·· ولا يقف عند حدود الابداع الفنى ولكنه يبدع فى مقالاته النقدية وأبحاثه فى الصحف والمجلات السودانية والعالمية ·· وله أيضا مؤلفات خاصة ·· كذلك امتد نشاطه الى تعميم الأوسمة والنياشين والخرائط والمبانى ·

د · فرنسيس دينق

عالج العديد من القضايا المصيرية مبينا تلك الفجوة العميقة بين الشمال والجنوب والتى طالما استغلها الاستعمار ليفرق دائما بين قطبى الوحدة التاريخية والجغرافية وقد استند فى تحاليله الى الموروث الشعبى الذى يؤكد ان السودان جزء لا يتجزأ من الوطن الأفريقى الكبير وأنه الامتداد الطبيعى لمصر درة أفريقيا وأم الحضارات ·

خالد أبو الروس

عرف بلقب « أبو المسرح السودانى » فهو أول من كتب للمسرح بلغة السودان الشعبية ومن أشهر مسرحياته «مصرع محلق وتاجوج» عام ١٩٣٢ و « خراب سوريا » عام ١٩٣٣ ·· وهو أول من كتب المونولوج السودانى عام ١٩٣٤ ·· ولم يكتف بذلك فساهم بآرائه النقدية فى الصحف السودانية على مدى عشر سنوات ، وعلى مدى خمسة وأربعين عاما ظل يعمل وحتى الآن بالتدريس موجها تربويا وثقافيا بوزارة التربية ·

شرحبيل أحمد

اطلق عليه لقب « ملك الجاز » بعد أن أدخل الآلات الموسيقية الغربية جنبا الى جنب مع الآلات المشرقية الصميمة من ناحية والآلات الافريقية التقليدية من ناحية أخرى لتصاحب الأغنية السودانية

الحديثة التى لا تنعزل عن جذورها الحانا وكلمات ، وهو بعد هذا عازف جيتار موهوب وصوت دافىء معبر عن الاحاسيس السودانية الصادقة وقد مثل السودان فى مهرجانات عالمية للأغنية الخفيفة والأغنية الشعبية على السواء ٠

سعدية الصلحى

أوقفت حياتها واهتماماتها على دراسة تاريخ الأزياء وتطوير فنونها ، ولم تقف عند الأزياء السودانية فحسب بل امتد اهتمامها الى دراسة وتطوير الازياء الافريقية ٠٠ ولذلك اختيرت للاشراف على لجنة مهرجان لاجوس للفنون الافريقية والسودان ، كما شاركت فى معرض اثيوبيا ثم معرض طرابلس فضلا عن معارض دولية كثيرة ٠٠ وتعد أول مصممة لأزياء فرقة الفنون الشعبية السودانية ٠

هل هى ثورة ·· فى عالم الكتب

نظرا لأهمية الكلمة المكتوبة فى تقدم الحضـــارة الانسانية ، ونظرا لأهمية الدور الذى تلعبه الكتب فى تطوير الحياة الاجتماعية ، اتخذ المؤتمر العام لليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) فى دورته السادسة عشرة (نوفمبر ٧٠) من عام ١٩٧٢ « عاما دوليا للكتاب » جاعلا شعاره « كتب للجميع » ·

وقد عقدت من أجل النهوض بالكتاب اجتماعات ثلاثة فى آسيا (طوكيو ٦٦) وافريقيا (اكرا ٦٨) وامريكا اللاتينية (بوجوتا ٦٩) اضيف اليها اجتماع رابع للبلاد العربية عقد بالقاهرة وحضره خبراء من (١٤) دولة عربية ومراقبون من الاتحاد السوفيتى وانجلترا والهند وممثلون لست هيئات تابعة للامم المتحدة فضـــلا عن المدير المساعد للعلاقات باليونسكو « البرتواوبليجادو » وقد اختير الدكتور محمود الشنيطى (من مصر) رئيسا للاجتماع كما اختير عبد القادر بن شيخ (من تونس) واحمد سعد الجاسر (الكويت) وعبد الأمير معلى (العراق) وبهيج عثمان (لبنان) نوابا للرئيس ·

ووافق « الاجتماع » فى بداية جلساته على « ميثاق الكتاب » المعلن ببروكسل (فى ٢٢ اكتوبر ٧١) ببنوده العشرة التى تؤكد على أن :

(١) كل فرد له حق القراءة (٢) الكتب ضرورة لا غنى عنها (٣) من واجب المجتمع ان يخلق الظروف لايجاد النشاط الخلاق للكتب (٤) التنمية القومية تستوجب صناعة سليمة للنشر (٥) تطوير

النشر يستلزم تهيئة الظروف لصناعة الكتب (٦) المكتبات تعد اداة ربط بين الناشرين والقراء (٧) المكتبات جزء من الدخل القومى فهى مواطن المعرفة (٨) الوثائق تخدم قضية الكتاب (٩) التداول يعد تكاملا للانتاج القومى (١٠) الكتب تخدم قضية التفاهم والتعاون بين الدول ٠

وكان الموضوع الرئيسى المطروح للمناقشـــة فى « اجتماع خبراء البلاد العربية » هو « التعاون الاقليمى بين الدول العربية بشأن النهوض بالكتاب » ٠٠ ومن أهـــم الأبحـــاث التى قدمت فى الاجتماع البحث الذى أعده المغربى « أحمد الاخضر » عن « الحلول المجدية لمشاكل الطباعة العربية » ويهدف الى تبسيط الحروف وخفض عددها (وقد أقرت الحكومة المغربية هذه الحلول ووضعتها موضع التنفيذ) وبحثا آخر أعده « ك٠ر٠ مأير » عن « امكانات زيادة الانتاج المحلى من الورق الثقافى فى البلاد العربية » وبحث ثالث اعدته « سكرتارية اليونسكو » عن « مشـــكلات الكتاب فى البلاد العربية » حيث برزت حقائق اهمها : ان نسبة الأمية فى الدول العربية الستة عشرة تصل الى ٧٣٪ فعدد المتعلمين يبلـغ ١٨ مليونا من ١٢٥ فى الدول العربية لاتتعدى ١٪ من الإنتاج العالمى و ٥ آلاف كتاب فى السنة فى مقابل ٤٩٦ الف فى العالم ، تنتج مصر وحدها الفين من الكتب) ٠٠ اما عدد النسخ فيصل الى ٥٠ مليون بمعدل ٤٠ كتابا لكل مليون نسمة أى نصف نسخة لكل فرد ، والمعدل العالمى يبلغ ١٤٠ كتابا أى أكثر من نسختين لكل فرد ، بينما يصل المعدل الأوروبى وحده الى ٤٩٠ كتابا اى ٧ نسخ لكل فرد ٠٠ وتبلغ نسبة الكتب الدراسية التى يفيد منها ١٤٣٩٦ الف طالب فى الدول العربية (وتصنع بصورة غير جذابة كما تعرض اعدادها على نحو سيىء) الى ٣ بينما النسبة العالمية متساوية ٠٠ ويبلغ انتاج الكتب الاجتماعية ٢٤٪ والآداب ٢٠٪ (وهى نسب متساوية مع النسب العالمية) امّا كتب الدين التى تبلغ ٥ر١١٪ (فهى تزيد بنسبة ٩٪) بينما قلت

كتب العلوم التطبيقية ١٠٪ والعلوم البحتة ٥ر٤٪ والفنون ٥ر٢٪ عن النسب العالمية وتقل أكثر كتب الاطفال البالغ عددهم فى الدول العربية ٢٥ مليونا بالاضافة الى ٢٠٠ الف فى دور الحضانة ٠٠ وان أعلى نسبة من الكتب العربية المترجمة الى لغات أجنبية بلغت فى سنة ٦٧ حوالى ٥٥ر٠٪ من النسبة العالمية (٢١٧ كتابا ٤٠٪ منها كتبا دينية) ٠

ونصل الى التوصيات التى اعلنت فى ختام الاجتماع وبلغ عددها ٥٨ توصية نذكر منها :

(١) بداية تخطيط شامل يمتد الى عام ١٩٩٠ (٢) مكافحة الأمية كمفتاح لانتشـــار الكتب (٣) حمـاية حقوق المؤلفين والمترجمين والانضمام الى الاتفاقيات الدولية وخاصة الاتفاقية التى صدرت عام ١٩٥٢ (٤) تشجيع الابداع الادبى وبصفة خاصة لدى الشـــباب باجراء مسابقات ومنح جوائز سخية (٥) العنـــاية بكتب الاطفال (٦) الاهتمام بالترجمة الى اللغات الأجنبية (٧) العمل على انتاج الورق محليا تجنبا لازمات الاستيراد المستمرة (٨) تخفيض الرسوم الجمركية على الكتب وعلى المواد المستخدمة فى انتاجها وعلى ورق الصحف (٩) تخفيض رسوم النقل الجوى والبحرى المفروضة على الكتب (١٠) انشاء مركز اقليمى للكتاب فى البلاد العربية ٠

وقد اتخذت بالفعل خطوات ايجابية بشأن انشـــاء « المركز الاقليمى للكتاب » فتقرر ان يكون مقره الدائم بالقاهرة حيث يشغل جزءا من المبنى الجديد للهيئة المصرية العامة للكتاب الذى يضـــم دار الكتب ودار النشر ٠٠ على ان يهتم هذا المركز (١) بتنظيم السوق العربية للكتاب (٢) وحل المشكلات الجمركية ومشـــكلات النقـــل (٣) وتدريب المهنيين (٤) وحمـــاية حقوق المؤلفين والمترجمين (٥) وتشجيع القراءة (٦) وتبادل الوثائق ٠

وتبقى بعض الملاحظات التى كان من الممكن أن ترتفـــع الى مستوى التوصيات ونأمل أن يضعها « المركز الاقليمى » المزمع انشاؤه موضع الاعتبار ٠٠ (١) حظر طباعة الكتب الجنسية المرخيصة التى تنتشر فى الاسواق العربية (٢) عدم ترجمة الكتاب الأجنبى الواحد الى اللغة العربية أكثر من مرة لاتاحة الفرصة أمام ترجمة مزيد من الكتب (٣) رفع مستوى الترجمة عن طريق لجنة فحص تتبع المركز الاقليمى (٤) الارتفاع بمستوى الكتاب المؤلف عن طريق لجنة قراءة تابعة لنفس المركز وتسرى أحكامها أيضا على النشر الخالص (٥) تخفيض اسعار نشر الاعلانات الخاصة بالكتب فى الصحف والمجلات والتليفزيون بنسبة كبيرة تيسيرا للدعـاية المفتقدة (٦) مســـاهمة اليونسكو فى خفض أسعار الكتب الأجنبية التى تستوردها الدول العربية (٧) خفض الضرائب بالنسبة لدور الطباعة والنشـــر (٨) انشاء دار نشر متخصصة فى انتاج كتب الاطفال ٠

وهل تنقذون ٠٠ الكتاب ياكتاب

ان ترتفع فجأة ويوما بعد يوم أسعار الكتاب فى العالم وفى مصر نتيجة لأزمة الورق شىء جائز ٠٠ أما أن ترتفع أسعار الكتاب المطبوع قبل أن تحدث الازمة ، فهذا هو « التلاعب » الذى يؤكد أن الكتاب قد أصبح « سلعة » وان التعامل معه أصبح تجارة تدر الربح السريع والمغالى فيه سواء فى القطاع الخاص أو القطاع العام ٠٠ بينما الطبيعى أن يظل الكتاب فى القطاع العام واحدا من مجالات « الخدمة العامة » لما له من أهمية فى التربية والتوعية والتثقيف والاعلام ، وكذلك بالنسبة للقطاع الخاص الذى يفترض أن أصحاب دور النشر فيه « أصحاب رسالة » وليسوا تجارا ، والا اتجهوا الى مشروعات أخرى أكثر كسبا والى سلع أخرى أكثر رواجا ٠٠ فما يحدث الآن يخضع لأحكام « الغش » و « السرقة » ، ذلك أن الناشرين ومؤلفى الكتب المدرسية ، والجامعية والعامة ، اما أنهم « يكشطون » السعر القديم ويضعون سعرا مضاعفا ، أو « ينزعون » الغلاف القديم ويضعون غلافا يحمل سعرا جديدا ٠٠ سواء بالنسبة للكتب الحكومية أو الكتب الخاصة ٠٠ وكثيرا ما « يجمع » الناشرون اللبنانيون كل الكمية المطبوعة من الكتاب ، اما من المكتبات أو من مخازن هيئة الكتاب ثم يغيرون الغلاف ويبيعونها بسعر مرتفع فى بيروت والقاهرة على السواء ٠

هذه الظاهرة الخطيرة وغيرها من الظواهر المتعلقة بمشاكل الكتاب ، جديرة بالمناقشـــة والبحث فى اطـــار « المعرض الدولى للكتاب » الذى يقام كل عام بالقاهرة ، من أجل انقاذ الكتاب ٠

أزمة الترجمة .. وروح العصر

الترجمة هى أصلا من أجل القارىء الذى لا يجيد لغة النص الأصلى .. فكيف يتسنى للمترجم أن يقدم له ترجمة سليمة وامينة على ضوء هذا المفهوم المبدئى ؟

تشبه الترجمة عمليات « نقل الدم » تلك التى تتطلب توافق الفصائل ، فصيلة النص الأصلى وفصيلة النص المترجم ، فالشعر شعر ، والنثر نثر ، والرواية رواية ، والمسرحية مسرحية وهكذا .

لكن البعض يرى أن النص المترجم لا ينبغى أن يعطينا الاحساس بأنه كذلك . ويرى البعض الآخر أن نجاح الترجمة هو فى مطابقتها مرة أخرى بالأصل .. أما عملية « نقل الروح » فهى أقرب الى « الاقتباس » منها الى الترجمة ، وهنا فقط يمكن احداث التغيير ، فيصير « الخواجة » ، « شيخا » ويصبح « جوزيف » ، « يوسف » أو حتى « عوضين » .. بينما تقتضى الترجمة الاحتفاظ بالاسماء والمسميات كما هى ، فنقول « ميشيل » وليس « ميخائيل » ونقول « الساعة ١٤ » وليس « ٢ بعد الظهر » ونبقى على القمر مؤنثا والشمس مذكرا .

وفى هذا يقول ناقد (التايمز) بعد قراءته لمسرحية توفيق الحكيم : « .. يصدم العقل الغربى باشياء غير مألوفة ، ففى حين ان القمر عندنا مؤنث نجد ان الوزير عندهم اسمه « قمر » وان « شهر زاد » التى تعنى الشمس هى عندنا مذكرة » ..

أما فكرة « المياه الاقليمية » التى يدخل فيها النص الأصلى ليتحول الى نص محلى ، فهى غير واردة ، لأنه ليس من المعقول ان يرتدى المواطن الغربى جلبابا لمجرد انتقاله من بلد الى آخر ،

فضلا عن تغيير لهجته وعاداته وتقاليده ومفاهيمه ذاتها ·· وهل تصبح مثلا سفينة الشحن بما عليها من بضائع ، أو باخرة الركاب بما فيها من مسافرين ، بنمية لمجرد عبورها أو رسوها فى قنـــاة بنما ؟

فى أوروبا ، بكل لغاتها المختلفة ، يســـتخدمون كلمة « يوم سعيد » فى تحية الصباح ، بينما نستخدم نحن كلمة « صباح الخير » أو « صبحك الله بالخير » ·

والترجمة الأمينة ، لن تفسد الأدب بأى حال اذا هى حافظت على التعبير الأول عند نقله الى اللغة العربية وعلى التعبير الثانى اذا هى نقلته الى اللغات الأجنبية ·

وكثيرا مايحدث هذا عند نقل الأمثلة الشعبية لكل أمة من الأمم، والطبيعى أن ينقل المثل كما هو ، ولا مانع من ذكر المثل المقابل لـــه فى اللغة المنقول اليها النص الأصلى فى الهامش ·

فاذا انتقلنا الى صيغ الاســـتعارة والكناية البلاغية ، وجدنا ان تشبيه الرجل بالجمل فى اللغة العربية يعنى وصـــفه بالصـــبر والقدرة على التحمل ، وهو تشبيه لا يعنى شيئا فى اللغات الأجنبية · بينما تشبيه الرجل بالأسد يدل على المعنى المقصود ، فى أية لغـــة من اللغات ·· وفى فرنسا يستخدمون تعبير « بقرتى العجوز » للدلال والمداعبة ، وهو تعبير قد يؤخذ فى أى وطن آخر على أنه اهانة ·

ويبقى الشعر من مشكلات الترجمة المستعصية ، ذلك ان نقل المضمون دون الشكل يفقد الشعر جرسه وايقاعاته أو موسيقاه ، وهل يمكن ترجمة الموسيقى ؟

لذا فان عملية « نقل المعنى » ينبغى أن تصحبها عملية « نقل المبنى » ايضا حتى يتم نقل « الكائن » بأكمله ·· وهنا ترتفع «الترجمة» بامانتها وصياغتها البلاغية والأدبية الى مستوى التأليف الابداعى ذاته ·

قضية الترجمة ٠٠ وروح النص

على الرغم من اهمية الترجمة ، ودورها الفعال الذى تلعبه فى التعريف بالحضارات والثقافات والتقريب بينها ، منذ مطلع عصر النهضة وحتى الآن ٠٠ فضلا عن تبادل وجهات النظر بين الحكومات وعقد الصلات بين الشعوب والتواصل بين الأجيـــال ، وبالرغم من الجهد المبذول فيها وعناصر الابداع الأدبى والفنى التى ينبغـــى أن تتوافر لها فلا يزال ينظر اليها على انها عملية آلية أو مهنة أو حرفة أو بالكثير أدب من الدرجة الثانية ٠٠ وهى نظرة قاصرة علينا هنا فى مصر وفى مصر وحدها ، وفى الآونة الأخيرة بصفة خاصة ، فما مكنا كانت النظرة خلال عصـــر رفاعة الطهطـــاوى ومحمد عبده التبشيرى وعصر عباس العقاد وطه حسين التنويرى وعصر غنيمى هلال وحسن عثمان التوجيهى ٠٠ فان أكثر الدول تخلفا فى افريقيا السوداء وفى الوطن العربى ، أصبحت تهتم بالترجمة والمترجمين ، اهتماما أدبيا وماديا ، كبيرا وملموسا معا ٠

ففى الكويت مثلا تحتسب الكلمة الواحدة بثلاثين مليما ، بينما تحتسب فى مصر بستة مليمات فقط ، ولا يزال مشروع رفع هذه القيمة الضعيفة فى ظل ارتفاع الاسعار ومستوى المعيشة الى عشرين مليما معطلا فى كل مراحله وعلى جميع المستويات ٠

ولا يتوقف الاهمال والازدراء عند هذا الحد ، فقد وصل من ناحية الى التصدى الغريب والعجيب حقا لايقاف سلسلة « روائع المسرح العالمى » وسلسلة « روايات عالمية » اللتين كانتا تصدران بانتظام عن « الهيئة المصرية العامة للكتاب » وهى الهيئة الحكومية

الوحيدة التى يحقق لنا محاسبتها والاعتماد عليها ، الى أن أعاد د. سمير سرحان اصـــدارهما من جديد .. ومن ناحية أخرى وصل هذا الاهمال وذلك الازدراء الى الوقفة الغريبة والعجيبة فعلا التى وقفها غالبية الاعضاء ـ وهم من الاساتذة والدكاترة الاجلاء ـ فى لجنة الترجمـة بالمجلس الأعلى للثقافة ، ضـــد منح الجائزة لأســـاتذة ودكاترة هـم أيضا أجلاء لهم فضل كبير وجهد وفير وانتاج غزير ، لا يستحقون عليه الجائزة التشجيعية بجنيهاتها الألف فحسب فقد تعدوا مرحلة التشجيع وان لم يصلوا بعد الى مرحلة التقدير ، ولذلك أصبح انشاء الجائزة الوســـط بين التشـــجيعية والتقديرية ، ضرورة ملحة لهؤلاء ولمن فى مستواهم واعمارهـــم ، ليس فيما يتعلق بالترجمة وحدها ولكن فى كافة فروع العلم والمعرفة .

فاذا كان هؤلاء الاساتذة والدكاترة ـ اعضاء لجنة الترجمة ـ قد رأوا أن اعمال الاساتذة الدكاترة المقدمة للمجلس ، لاترقى الى مستوى الجائزة ، وهو عكس ما قاله النقـــاد الذين كتبوا عن تلك الأعمال ، والقراء الذين اقبلوا على قراءتها ، فلماذا لم يستخدموا حقهم ـ كما تنص اللوائح والقوانين ـ فى ترشيح واختيار اعمال لأساتذة ودكاترة آخرين قد ترقى الى المستوى الذى يتطلبونه .. والا فانهم يحكمون بخلو الساحة وخوائها .

وهم بالمنع وعدم المنح ، يساهمون ولا جدال فى اعاقة حركـة الترجمة بانصراف الرواد والمجيدين والشباب عن العمل المضنى فى محرابها والسباحة الصعبة فى مجالاتها .

ولعلها تكون مناسبة جادة وجيدة لطرح القضية على مستوى وزارة الثقافة باجهزتها المختصة وعلى الرأى العام الثقافى لحل كل هذه المشكلات وكل تلك المتناقضات من أجل ازدهار حركة الترجمة قبل أن تتوقف الى الابد .

الندوات الأدبية ٠٠ الحركة والركود !

منذ فترة طويلة والندوات الأدبية ، شأنها شأن الأنشطة الثقافية الأخرى ، تعانى من ركود وهبوط ، قد يوصلانها الى حافة الاختفاء والاندثار ٠٠ ركود يتمثل فى قلة عدد الندوات المنعقدة خلال الموسم الثقافى الواحد فى كافة الجمعيات والهيئات الثقافية الرسمية والجماهيرية والخاصة ، كما يتمثل فى قلة عدد الرواد الذين يرتادون هذه الندوات متحدثين أو مستمعين ٠٠ وهبوط يتمثل فى مستوى القضايا المطروحة والمناقشات الدائرة ٠٠ على الرغم من تكاثر هذه الجمعيات وانتشارها ، وبرغم ارتفاع نسبة المثقفين والمهتمين بالثقافة ، ورغم تضاعف القضايا المثارة والملحة التى تحتاج الى حلقات بحث ودراسة وليس فقط الى ندوات ٠٠ مجرد ندوات !

نقول هذا بعد أن تفشت تلك الظاهرة واستشرت ، ونقوله أيضا وبصفة خاصة بعد الندوتين اللتين أعلن عنهما « قصر ثقافة مصر الجديدة » و« دار الأدباء » ، فقد تخلف أغلب المتحدثين والشعراء بدون عذر قاهر أو سبب معقول ، كما خلت القاعتان على سعتهما من الرواد ٠٠

لماذا ؟ !

هذا هو السؤال الكبير والهام الآن !

أما الاجابة فتجىء متضمنة لتحليل الظاهرة ، استنتاجا وملاحظة ودراسة ٠٠ أولها وفى مقدمتها جميعا تجاهل وسائل الاعلام الاذاعية والتليفزيونية والصحفية لكافة الندوات سواء بالتسجيل أو التعليق أو الاشارة ٠٠ ثم انعدام الصلة والتواصل

بين منصة المتحدثين وقاعة المستمعين ، وفقدان الندوات للغة الواحدة المشتركة بين قطبيها ، وأخيرا عدم تفرغ المثقفين من أصحاب الرأى نثرا وشـــعرا وعدم اســـتعداد المثقفين وتهيؤهم للتزيـــد بالزاد الثقافى ٠٠ فالكل مشغول بالاحتياجات الأساسية والمتطلبات الرئيسية فى دوامة الحياة ، بحيث لا يبقى فى الانسان أى جهد يبذل للتنقل والتثقف ، فيركن الى الاسترخاء امام التليفزيون أو الاكتفاء بتحمل مشاق الانتقال الى أماكن اللهو ، سواء فى السينما التجارية والمسرح الخاص أو الملاهى بالنسبة للقادرين أو النوادى بالنسبة لمتوسطى الدخل أو المقاهى بالنسبة للبسطاء ٠٠

وكما تضمن تحليل الظاهرة ٠ الاجابة ، فانه يتضمن أيضـــا الحلول وهى سهلة ويسيرة ومتعددة ٠ وهذا واضح ولكنه لا يحتمل المغالطة ولا يتحمل المراوغة ، والا تحول المرض العارض الى داء مستعص يجلب أمراضا أخرى أشد خطرا وأكثر خطورة ٠٠

وما يقال عن الندوات الأدبية ينطبق كذلك على الندوات الفنية والعلمية والنقابية وما الى ذلك ، اليس كذلك ؟ !

وجهة نظر غربية ٠٠ فى الأدب العربى

على الرغم من ظهور ترجمات كثيرة ولكنها متناثرة ومتباعدة لانتاج عدد من الكتاب العرب ، الا ان عام ١٩٦٤ يعد البداية الحقيقية لاهتمام دور النشر الفرنسية بالأدب العربى المعاصر ٠٠ فقد عنيت « دار سووى » باصدار ثلاثة كتب ضخمة تحت عنوان موحد « مختارات من الأدب العربى المعاصر » قدم لها المستشرق الفرنسى المعروف « جاك بيرك » ٠٠ أولها عن « الرواية والقصة القصيرة » وثانيها عن « الدراسات الأدبية » وآخرها عن « الشعر » ٠٠ ثم أصدر الناشر الفرنسى « جيروم مارتينو » عام ١٩٧٠ سلسلة باسم « المكتبة العربية » تعنى بترجمة أبرز الأعمال المعربية فى مجالات الأدب مثل « زقاق المدق » لنجيب محفوظ و « تحولات الهجرة فى اقاليم الليل والنهار » لأدونيس،وفى العلوم الاجتماعية مثل « البناء مع الشعب » لحسن فتحى وفى العلوم السياسية مثل « مفاتيح الحرب » لبيين روسى ٠

وقد خلص « جاك بيرك » فى مقدمته لثلاثية « الأدب المعربى المعاصر » الى أن هدف هذه الثلاثية هو « عرض حياة ومشكلات الوطن العربى من وجهة نظر كتابه » حيث « الفصحى هى اللغة المشتركة بين الدول العربية ، والقرآن هو البيان وهو الأسلوب ، والاسلام هو المنهج وهو الدستور » ٠

ومع هذا فقد حاول أدباء الهجر « جبران ونعيمة وايليا أبو ماضى » اعادة اكتشاف الطبيعة والحياة ، وحاول الرئدان

المصريان « طه حسين والعقاد » نقل التراث الغربى والافادة منه ، وحاول شعراء الوطنية « شوقى وحافظ ومطران » التعبير عن الذات الأصيلة ·· وساهمت المجلات المتخصصة « المجلة والهلال والكاتب » فى مصر و « الأديب والآداب وشعر » فى لبنان و « الفكر » فى تونس ، فى تعميق الفكرة القومية ·

ثم يستعرض « بيرك » كفاح الشعب العربى وصراعه ضد الاستعمار من أجل الاستقلال والحرية ، فيذكر أحد أبيات « أبو القاسم الشابى » الشهيرة :

اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلا بد ان يستجيب القدر

كنموذج لشعر الحماسة ، تلك الحماسة التى امتدت الى الرواية والقصة القصيرة والمسرح والمقالة والفلسفة أيضا ·

وتستمر المسيرة العربية فى تقدير « بيرك » برغم المعارك الفكرية الكثيرة التى اثارتها وتثيرها الاجيال الجديدة وأبرزها ذلك الصراع التقليدى بين القديم والحديث وأضمنها ذلك الصراع الشكلى بين مدرستى الفن للفن والفن الملتزم وأهمها ذلك الصراع المصيرى بين القومية والوطنية ·

انها وجهة نظر غربية فى أدبنا العربى المعاصر ، مطروحة للمناقشة وقابلة للمعارضة والتصحيح ، ولكنها وجهة نظر محايدة فى النهاية ·· فان جاءت غير كاملة أو مكتملة ، فلا شك أن استعراضنا للآراء التى وردت فى الكتب الثلاثة مصحوبة بمختارات أدبية ، يمكن أن يدعم وجهة النظر الغربية هذه فى أدبنا العربى المعاصر ·